تعامل العرب المسلمين مع السكان المحليين في المغرب العربي (٥٠-٩٢هـ/٦٧٠-٧١٠م)

الباحثة عالية مناف جاسم أ. د. حماد فرحان حمادي
كلية التربية للبنات – جامعة الانبار

المستخلص

بدأ العرب المسلمون في التفكير جدياً للانطلاق نحو بلاد المغرب بعد الانتهاء من فتحهم لمصر سنة (٢٠هـ/٦٤٠م) على يد القائد عمرو بن العاص، الذي كان يرى أنَّ الانطلاق نحو بلاد المغرب ، خطوة ضرورية لتأمين الحدود الغربية لمصر وحمايتها من الهجمات التي قد تتعرض لها من قبل القوات البيزنطية، المسيطرة آنذاك على جميع الأراضي الواقعة غرب مصر، فكانت هذه الفكرة هي الخطوة الأولى والأساسية في فتح العرب لبلاد المغرب ، ونتيجة لطول مدة الفتح العربي الإسلامي للمغرب العربي، فضّل الباحثون تقسيم هذه الحقبة التاريخية إلى عدة مراحل ، لغرض تسهيل دراستها واستيعابها، فمنهم من قسمها إلى سبع مراحل بحسب القادة الذين تولّوا الجهاد هناك، ومنهم من قسمها إلى مرحلتين، تبعاً لطبيعة الفتح في كل مرحلة ، فسمّيت الفتوحات الأولى بالاستكشافية أو الاستطلاعية،(٢٢-٥٠هـ/٦٤٢-٦٧٠م) ، والثانية بالفتوحات المنظمة أو فتوحات الاستقرار (٥٠-٩٢هـ/٦٧٠-٧١٠م).

وحاولنا خلال البحث الكشف عن أهم المبادئ التي تعامل بها القادة العرب الميدانيين تجاه السكان المحليين ، خلال عمليات الفتوح المنظمة والاستقرار التي بدأت منذ ولاية عقبة بن نافع الثانية عام (٥٠هـ/٦٧٠م).

الكلمات المفتاحية : عقبة ، القيروان ، برقة.

Interaction of Muslim Arabs with the local population in the Maghreb (50-92 AH / 670-710 AD)

Researcher Alia M. Jasem ProfDr.. Hammad F. Hammadi
College of Education for Girls – University OF Anbar
edw.hammad.farhan11@uoanbar.edu.iq

Abstract

The Muslim Arabs began to think seriously to set out for the Maghreb after the conquest of Egypt in the year (20 AH / 640 AD) at

the hands of the leader Amr ibn al-Aas, who believed that the departure towards the Maghreb was a necessary step to secure the western borders of Egypt and protect it from the attacks that might be exposed to it. By the Byzantine forces, then controlling all the lands west of Egypt, this idea was the first and essential step in the Arab conquest of the Maghreb. Some of them divided it into seven stages according to the leaders who took up the jihad there, and some of them divided it into two stages, according to the nature of the conquest in each stage. (50-92 AH/670-710AD.(

During the research, we tried to reveal the most important principles that the Arab field leaders dealt with towards the local population, during the organized conquests and stability operations that began since the second mandate of Uqba bin Nafeh in the year (50 AH / 670 AD), and we will address the topic of research according to the historical sequence of the governors of Morocco.

Keywords: Oqba, Kairouan, Cyrenaica.

١- ولاية عقبة بن نافع الأولى وتأسيس مدينة القيروان (٥٠-٥٥هـ/٦٧٠-٦٧٤م).

بدأ احتكاك العرب المسلمين المباشر مع سكان المغرب منذ بداية عمليات الفتح العربي الإسلامي في تلك البلاد ، التي بدأت بعد إتمام القائد عمرو بن العاص فتح مصر، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، سنة (٢٠هـ/٦٤٠م)، وفي عام ٢٢هـ/٦٤٢م تم فتح مدينتي برقة وزويلة وهي أولى مدن بلاد المغرب واتخذها قاعدة لانطلاق العمليات العسكرية باتجاه المغرب ، فتوالت العمليات العسكرية حتى عام ٥٠هـ/٦٧٠م ، ورغم الانتصارات التي تحققت إلّا أنها كانت بمثابة عمليات استكشافية وجس نبض السكان المحليين ، وتوالى عدد من القادة على جبهة المغرب ، كان آخرهم في هذه المرحلة معاوية بن حديج السكوني الذي ما أن انتهت ولايته حتى بدأت الخلافة العربية الإسلامية توجه أنظارها واهتمامها للجبهة المغربية، لا سيما بعد الانتصارات التي حققها العرب المسلمون هناك، ودخول أعداد كثيرة من سكان المغرب المحليين في الإسلام[١]، لذلك ، فبعد أربعة أعوام من خروج ابن حديج ، حزم الخليفة معاوية بن أبي سفيان أمره واختار عقبة بن نافع لهذه الولاية، فكان اختياراً صائباً مبنياً على دراية الخليفة معاوية،

بمقدرات هذا القائد الحربية وخبراته التي اكتسبها في هذا الإقليم من خلال احتكاكه بأهل البلاد ومعرفة مداخلها ومخارجها بعد المدة الطويلة التي قضاها في إقليم برقة[٢].

وفي الوقت الذي كان عقبة يواصل نشاطه العسكري في برقة ونواحيها، وصل إليه الأمر بتولية أفريقية عام (٥٠هـ/٦٧٠م)[٣]، فخرج بمن معه حتى وصل ساحل البحر المتوسط، وهناك التقى بالقوة العسكرية التي أرسلها الخليفة معاوية للعمل تحت أمرته، فكان أول ما فكر به هذا القائد هو اتخاذ قاعدة إسلامية عسكرية لانطلاق الجيوش واستكمال عمليات الفتوح في المنطقة[٤].

عَدَّ عدد من الباحثين [٥] المحدثين، أنَّ ولاية عقبة الأولى لأفريقية هي بداية لمرحلة جديدة من مراحل الفتوح العربية الإسلامية في المغرب، أطلقوا عليها الفتوحات المنظمة، فقد كان عقبة قائداً قديراً جمع بين الفكر العسكري والاستراتيجي معاً بحكم اطلاعه على أحوال البلاد ومعرفة طبيعة سكانها الميالة لنقض العهود والخروج عن الطاعة، ولم يكتفِ عقبة بإخضاع سكان القبائل بعد ارتدادها فحسب ، بل أمر مجموعة من المسلمين لتعليم سكان أفريقية الإسلام، وكان يرى أنَّ هذا الإجراء لم يكن كافياً لإبقاء أهل أفريقية على ولائهم للإسلام، ما لم يقترن ذلك بوجود مؤسسة عسكرية اجتماعية، يقتبس منها قبائل المغرب منهج الإسلام وتقاليده، فكان بناء القيروان هو الإجراء الأساسي لتحقيق تلك الغاية[٦].

ولعلَّ عقبة ابتغى من بناء القيروان تحقيق هدفين رئيسيين، الأول عسكري، لتكون قاعدة عسكرية لانطلاق الجيوش العربية الإسلامية، والثاني ديني، تمثل في جعلها مركزاً لبث الدعوة الإسلامية بين القبائل المحلية في المغرب ، وتعليمهم اللغة العربية[٧].

بعد أنْ عزم عقبة على تحقيق ما يروم إليه، اجتمع بأصحابه من أهل الحكمة والرشاد، وخطب فيهم خطبة، غاية في الأهمية ، وصف فيها طبيعة أهل المغرب قائلاً: (إنَّ أفريقية إذا دخلها إمام، أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع مَن كان منهم من دين الله إلى الكفر)[٨] وأشار عليهم بضرورة إنشاء قاعدة عسكرية، بهدف استقرار الإسلام وتمكينه في بلاد المغرب[٩].

وافق أصحاب عقبة على اقتراحه هذا وأخذوا يبحثون عن موقع مناسب للمدينة، وقبل أنْ يشرع عقبة باختطاط القيروان، وقف على جهود سلفه معاوية بن حديج، الذي قام بإنشاء معسكر القرن، فلم ينال موقع المعسكر إعجاب عقبة بن نافع، لقربه من الساحل[١٠]، فاختار

عقبة موقع وسط بعيد عن الساحل كي يكون في مأمن من هجمات الأسطول البيزنطي، وغير متوغل في العمق ، خشية من تحركات القبائل المغربية، وقريبة من السبخة لتتمكن الإبل من الرعي فيها(١١).

كان الموقع الذي اختاره عقبة لبناء القيروان، مكان كثير الأشجار والحيوانات المفترسة، فأمر الجند بتطهيره من كل ذلك وحرق الأشجار ليصبح مكاناً صالحاً للبناء(١٢)، فلما أتمّ ذلك بدأ عقبة باختطاط القيروان على غرار المدن والأمصار الإسلامية التي بنيت قبل القيروان، مثل الكوفة(١٣)، والبصرة(١٤)، والفسطاط(١٥)، فاختطّ أولاً المسجد الجامع، وفي مواجهة الجامع ، أنشأ دار الإمارة، وبين المسجد ودار الأمارة ، طريق واسع، كان العرب في مدنهم يطلقون عليه اسم السماط أو المحجة، وفيما يتعلق بهذه المدينة الجديدة، فقد سمي هذا الشارع (السماط الأعظم)، والذي كان بمثابة الشارع الرئيسي للمدينة(١٦).

لا تتوفر معلومات كثيرة عن كيفية تجمع القبائل العربية في مدينة القيروان، وبما أنَّ معظم هذه القبائل قد جاءت من مصر، فيمكن للباحث أنْ يتوقع بأنّهم قد تجمعوا وبنوا منازلهم كما فعل العرب سابقاً في الفسطاط، فاختطت كل عشيرة حيّها الخاص حول الجامع، وهناك إشارة إلى أنَّ القبائل المختلفة التي تعود إلى قريش، وبشكل خاص فهر ابتنت منازلها إلى الجهة الشمالية من الجامع، أما أولئك الذين جاءوا من المدينة، أي الأنصار، ورجال القبائل الآخرون الذين ينتمون إلى عشائر خولان، وغفار، وبلي، ومعافر، وحضرموت، ومراد، ولخم، فقد اختطوا منازلهم في الأماكن المجاورة، ولقد اتخذت الكثير من المحلات والساحات والطرق أسماء هذه العشائر، مثال ذلك رحبة القريشيين، ورحبة الأنصار، ورحبة بني درّاج، ودرب الهذلي، وحارة يحصب(١٧).

تميزت بنايات القيروان في أول بناءها بالبساطة، واستعمل في بناءها القرميد، وعمّرت بمرور الزمن بأنواع الأبنية والمنشآت، وشدّ الناس إليها الرحال، فسكنوها من كل مكان واتسعت أسواقها، واستغرق عقبة في بناءها مدة خمس سنوات، حتى اكتملت عمارتها عام (٥٥هـ/٦٧٤م)، ولأجل حمايتها من الغارات المفاجئة فقد لفّت عمائر المدينة ومنشآتها بسور من الطين واللِبْن، ظل قائماً حتى زمن الأغالبة (١٨٤هـ/٨٠٠م) (١٨).

اختلف المؤرخان، ابن الأثير(١٩)، وابن عذاري(٢٠)، في تحديد مساحة القيروان، فالأول جعلها ثلاثة آلاف وستمائة باع، والثاني جعلها ثلاثة عشر ألفاً وستمائة ألف ذراع، وعلى ما

يبدو أنَّ هذان التحديدان ، شملا على جميع أنحاء المدينة، بما فيها القبائل المغربية التي اعتنقت الإسلام وأقامت دوراً لها حول المدينة، التي أصبحت فيما بعد القبلة الأولى للإسلام والمسلمين في بلاد المغرب.

يعدّ تاريخ انتشار الإسلام في القيروان تاريخاً فاصلاً، فمنذ اتخاذها مركزاً لانطلاق الحملات العسكرية على بلاد المغرب، تغيرت طبيعة تلك الحملات من مجرد حملات استكشافية الغرض منها جسّ النبض ومعرفة مسالك البلاد، إلى حملات منظمة تهدف إلى الاستقرار وتمكين السيطرة العربية الإسلامية في المغرب على الصعيدين العسكري والديني، فكان من النتائج المهمة التي أسفر عنها بناء القيروان، هو إقبال السكان المحليين على اعتناق الدين الإسلامي، وقد ذكر ابن خلدون[٢١]، أسماء القبائل التي اعتنقت الإسلام، وشاركت في بناء القيروان، وهي لواتة ونفوسة ونفزاوة، كذلك لخّص ابن الأثير[٢٢]، تلك النتائج بقوله: "ودخل كثير من البربر الإسلام، واتسعت خطة المسلمين، وقوي جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان، وآمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام بها".

كذلك قدّر لهذه المدينة أنْ تلعب دوراً بارزاً في تاريخ المغرب، فقد تحولت القيروان بسرعة إلى قاعدة سياسية ودينية وفكرية للإسلام في بلاد المغرب، إضافة إلى دورها العسكري[٢٣]، وكل الفضل يعود في ذلك إلى استراتيجية عقبة الناجحة التي أشاد بها موسى لقبال [٢٤]، عندما تحدث عن عبقرية عقبة في اختياره لموقع المدينة، واصفاً إيّاه ، بالاختيار الصائب إلى حدّ بعيد، فكان أكبر الأدلة على ذلك هو اتخاذ ولاة المغرب الذين جاؤوا بعد عقبة من القيروان حاضرة لهم في المغرب، مما جعل القيروان تحتل في المغرب نفس المكانة التي احتلتها الفسطاط في مصر، فكانت النواة الرئيسية للحكم العربي الإسلامي في بلاد المغرب[٢٥].

بعد انتهاء عقبة من إنشاء القيروان عام (٥٥هـ/٦٧٤م) ارتأت الخلافة اتباع سياسة جديدة في بلاد المغرب، تهدف إلى كسب ولاء القبائل المحلية في المغرب ونشر الإسلام بينهم، مستخدمة أساليب الترغيب، تلك الأساليب التي لم يكن عقبة قد استخدمها مع السكان المحليين في المغرب، طيلة مدة وجوده بينهم، فقد كان عقبة رجلاً عسكرياً من الطراز الأول، ولم يكن سياسياً، كما هو الحال بالنسبة لأبي المهاجر دينار[٢٦] الذي جاء من بعده[٢٧].

٢- ولاية أبو المهاجر دينار (٥٥-٦٢هـ/٦٧٤-٦٨١م):

بعد عزل عقبة بن نافع عن ولاية أفريقية، أُمِّرَ مكانه أبو المهاجر دينار الذي انتهج سياسة مغايرة للسياسة التي اتبعها عقبة بن نافع مع السكان المحليين في المغرب ، فكان عقبة رجلاً عسكرياً بعيداً عن السياسة وفهم تصاريفها، كما أسلفنا، أما أبو المهاجر فكان رجلاً سياسياً محنّكاً، عرف كيف يكسب ودّ القبائل المغربية وجعلهم يعتنقون الإسلام، بأسلوب اللين والمداراة التي اتبعها مع السكان المحليين في المغرب العربي(٢٨).

برزت سياسة أبو المهاجر مع القبائل المحلية من خلال تعامله مع قبائل أوروبه البرانسية، وقائدهم آنذاك كسيلة بن لمزم الأوروبي، فكانت تلك القبائل هي المسيطرة على جميع الأراضي منذ دخوله إلى المغرب الأوسط وقاعدته تلمسان، فكان أبو المهاجر قد هدف منذ دخوله إلى المغرب ، إلى فكّ التحالف الحاصل بين قبائل أوروبه البرانسية وبين القوات البيزنطية(٢٩).

قبل الحديث عن كيفية تعامل أبو المهاجر مع هذه القبائل لابد من الإشارة إلى طبيعة العلاقة بين قبائل المغرب المحلية والسلطات البيزنطية في البلاد، فقد كانت هذه العلاقة متغيرة بحسب طبيعة المتغيرات السياسية الحاصلة في البلاد، وبحسب مصالح كلا الطرفين، ففي بداية الفتح العربي الإسلامي للمغرب الأدنى، وتحديداً في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان(٤١-٦٠هـ/ ٦٦١-٦٧٩م) ، نجد أنَّ القبائل القاطنة في ذلك الجزء من البلاد، قد استنجدوا بالعرب المسلمين من أجل تخليصهم من تسلط الامبراطور البيزنطي جستنيان بعد أنْ ساءت علاقتهم به من جراء إثقالهم بالضرائب الفادحة، كما أسلفنا، ويذكر موسى لقبال(٣٠): أنَّ هذه القبائل ومنذ ذلك الحين، بقيت متحصنة في حصونها، ولم يتدخلوا في الصراع القائم بين العرب المسلمين والروم البيزنطيين، ما دامت مضاربهم بعيدة وغير متأثرة بهذه الأحداث.

أما بعد دخول أبو المهاجر إلى بلاد المغرب، ووصوله إلى أراضي المغرب الأوسط ، وجد أنَّ قبائل أوروبه البرانسية، كانت قد جمعتها علاقة وطيدة مع القوات البيزنطية، سيما وأنَّ هذه القبائل وقفت موقف الضد أمام الوجود العربي الإسلامي في البلاد، فعمل أبو المهاجر على فكّ هذا التحالف الحاصل، الذي رأى فيه حجر عثرة كبيرة أمام تقدم الفتوحات الإسلامية في المنطقة، فاستخدم سياسة حكيمة تمثلت في كسب قبائل أوروبه البرانسية وضمّهم إلى

الإسلام بدل من محاربتهم[٣١]، فكان أبو المهاجر قد هدف من وراء هذه السياسة دمج العرب والبربر، وكسبهم كعناصر موالين للوجود العربي الإسلامي في البلاد، لا سيما بعد أنْ أدرك بأنّ قوة العرب العددية في مصر محدودة وغير كافية للسيطرة على مناطق هذا الإقليم الشاسع، إلّا بمساندة سكانه المحليين وكسب ثقتهم[٣٢].

وبعد دخول أبو المهاجر إلى أراضي قبائل أوروبه البرانسية في المغرب الأوسط، جرت معركة بين الطرفين قرب مدينة تلمسان، أسفرت عن هزيمة قبائل أوروبه، وأسر أميرهم كسيلة بن لمزم الأوروبي، الذي أحسن أبو المهاجر معاملته طيلة مدة بقائه في الأسر وأعزّ مثواه، رغبة منه في كسب هذا الأمير وضمّه وقبيلته إلى الإسلام، فأظهر له سماحة الدين الإسلامي، وقوانين الإسلام في معاملة الأسرى، فأخذ بترغيبه في اعتناق الإسلام، فاستجاب كسيلة لذلك فاعتنق الإسلام، وتبعه جميع قبائل أوروبه البرانسية، فاستخلص أبو المهاجر هذا الأمير واختصه بالصحبة الحسنة، بعد أنْ أسلم وحسُن إسلامه[٣٣].

ولعلَّ الحنكة السياسية التي أظهرها أبو المهاجر في التعامل مع هذه القبائل، قد أظهرت أنَّه كان قائداً قديراً ، ولم يكن أقل كفاءة من عقبة بن نافع، رغم اختلاف أسلوب كُلاً منهما في التعامل مع القبائل المحلية في البلاد، فبعد أنْ استطاع عقبة من خلال سياسته العسكرية كسب قبائل البتر من سكان المغرب الأدنى وضمّهم إلى الإسلام، لا سيما بعد بناء مدينة القيروان، تمكن سلفهُ أبو المهاجر من ضم قبائل أوروبه البرانسية، وكسبهم كحلفاء أقوياء له، سيما وأنَّ هذه القبائل كانت من أشدّ قبائل البرانس قوة وبأس، وبذلك استطاع هذا القائد بحكمته تحويل موقف هذه القبائل من العداء السافر لعمليات الفتوح العربية الإسلامية إلى الحليف القوي والمساند له في بلاد المغرب، فكانت هذه أكبر المكاسب التي حققها أبو المهاجر في بلاد المغرب[٣٤].

٣- ولاية عقبة بن نافع الثانية: (٦٢-٦٤هـ/٦٨١-٦٨٣م)

توفي الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٦٠هـ/٦٧٩م) ليتولى الخلافة من بعده ابنه يزيد(٦٠-٦٣هـ/٦٧٩-٦٨٢م) ، الذي عمل على عزل أبو المهاجر من ولاية أفريقية وإعادة عقبة بن نافع إليها، لتبدأ بذلك ولاية عقبة الثانية على البلاد الأفريقية[٣٥].

ما إنْ وصل عقبة إلى القيروان، حتى أخذ يمارس سياسته المعهودة في التعامل مع سكان القبائل المحلية في البلاد، متجاهلاً إنجازات أبو المهاجر وأسلوبه في مهادنة قبائل

المغرب، سيما وأنَّ عقبة لم يكن يملك النظرة السياسية الهادئة التي تميز بها أبو المهاجر، ففي ذات الوقت الذي وصل به عقبة إلى القيروان، ألقى القبض على أبي المهاجر دينار وكسيلة بن لمزم، الذي تفنن عقبة في إذلاله ومعاملته بأسلوب غاية في القسوة والإهانة(٣٦)، وقد أوردت النصوص التاريخية رواية وصفت فيها أسلوب عقبة في معاملة هذا الأمير الأوروبي، فقيل أنَّ عقبة قد جاء بشاة، وأمر كسيلة بسلخها، فدفعها كسيلة إلى غلمانه، إلّا أنَّ عقبة أصرّ على قيام كسيلة بنفسه بذلك، ففعل، ومنذ ذلك الحين أخذ كسيلة يضمر الحقد والشر لعقبة ويتوعده بالانتقام(٣٧).

لاقت سياسة عقبة، وتعامله مع زعيم قبائل أوروبه كسيلة النقد اللاذع من قبل أبو المهاجر دينار، الذي نصح عقبة بعدم معاملة كسيلة بهذا الشكل المهين، باعتباره رجلاً ذا كلمة ومكانة رفيعة بين قومه، وأَنَّ معاملته بهذا الشكل سيؤدي إلى انشقاق تلك القبائل وتأليبها ضد الوجود العربي الإسلامي في المغرب، فقد كان أبو المهاجر حريصاً على أنْ لا تضيع جهوده في كسب هذه القبائل سدى، ففقد المسلمون بذلك حليفاً لهم، ولطالما سعى أبو المهاجر لكسبهم طيلة مدة بقاءه في المغرب، إلّا أنَّ عقبة أصر على سياسته تلك ولم يُعِرْ تلك النصائح أيّ اهتمام يُذكر(٣٨).

إنَّ السؤال الذي يتبادر في الأذهان، هو ، ما الدافع الحقيقي الذي جعل عقبة يقدم على مثل هذا التعامل مع كسيلة بهذا الشكل، مع أَنَّه كان مسلماً، ألم يكن من الأحرى لعقبة أنْ يصطنع كسيلة لتكون سيوف أتباعه له بدل من أنْ تكون ضدّه، كما فعل أبو المهاجر(٣٩).

لذلك أثار عدد من الباحثين(٤٠) هذا التساؤل ، وقد اختلفوا في الإجابة عليه، بحسب رأي كلاً منهم، وتلك الإجابات يمكن تلخيصها بثلاث آراء رئيسية، أولها: أنَّ عقبة تعامل بهذا الشكل مع كسيلة مدفوعاً بروح الانتقام من أبو المهاجر الذي أساء عزله عن ولايته الأولى، فعمل عقبة على إذلاله وإذلال صديقه كسيلة بعد وضعهم في السجن، والتعامل معهما بنفس الطريقة التي تعامل بها أبو المهاجر مع عقبة عند عزله عن ولاية أفريقية، أما الرأي الثاني، فقد ذهب أصحابه إلى القول أنَّ عقبة لم يحسن التعامل مع رؤساء القبائل المحلية منذ البداية، كونه لم يكن رجلاً سياسياً أو دبلوماسياً كما أسلفنا، فقد ذكر محمود شيت خطاب(٤١): أنَّ عقبة كان من أولئك القادة الذين يقسون على رؤساء أعدائهم ليكونوا عبرة لأمثالهم فلا يجرؤون على محاربة الإسلام، والرأي الثالث ذهب إلى أنَّ عقبة كان قد شكّ بولاء كسيلة

وصدق إسلامه، إضافة إلى أنَّ عقبة وأثناء قيامه بالحملة العسكرية المشهورة في بلاد المغرب، وقف على أعمال واتصالات لكسيلة مع الروم البيزنطيين، تُخلُّ بأمن حملته العسكرية إلّا أَنَّه لم يستطع التأكد من شكوكه تلك ، بسبب الظروف المحيطة به آنذاك، ونحن نرجّح هذا الرأي استناداً إلى ما ذكره عبد العزيز سالم[٤٢] الذي قال: "إنَّ عقبة أهان كسيلة بعد موقعة باغاية [٤٣]، وهو في طريقه إلى طنجة".

وعلى أية حال، وبغض النظر عن الدافع الحقيقي وراء ما فعله عقبة، فقد أجمع عدد من الباحثين[٤٤]، على أنَّ تلك السياسة التي اتبعها عقبة في التعامل مع أمير قبائل أوروبه كانت من أكبر الأخطاء التي ارتكبها عقبة في ولايته الثانية، والتي ترتب عليها أخطار جسيمة، لم تقتصر على انشقاق قبيلته عن الإسلام فحسب، بل أنَّها أودت بحياة عقبة بن نافع نفسه، ووضعت حداً لنشاطه الجهادي في بلاد المغرب.

بعد انتهاء عقبة من حملته الكبرى في بلاد المغرب، وقفله راجعاً إلى القيروان، كان كسيلة قد هرب من معسكر عقبة، وجمع جيشاً كثيفاً من البربر والروم البيزنطيين[٤٥]، فالتقى الجمعان في موقعة تهودة عام (٦٣هـ/٦٨م) التي أسفرت عن استشهاد عقبة بن نافع وكل من كان معه، فكان لتلك الحادثة صداها القوي الذي هزّ دعائم الوجود العربي الإسلامي في المغرب ، لا سيما بعد انسحاب العرب من القيروان، ودخول زعيم قبائل أوروبه كسيلة بن لمزم إليها[٤٦].

وأخيراً ، يجدر بنا الإشارة الى مسألة مهمة، هي أن عقبة بن نافع وبالرغم من سياسته القاسية التي تعامل بها مع قبائل المغرب المحلية ، إلا أننا لا ننكر جهوده في نشر الإسلام بين أبناء هذه القبائل منذ دخوله برقة حتى وصوله إلى المغرب الأقصى في حملته الكبرى، فعقبة خلال حملته هذه لم يكتف بفتح البلاد عسكرياً، إنما فتحها معنوياً، فدخلت قبائل كثيرة في الإسلام، يقول ابن عذاري[٤٧]: "وحرص عقبة على دعوة أهالي البلاد التي مرّ بها على نشر الإسلام كبلاد دكالة وهكسورة"، وشيّد عقبة عدد من المساجد في درعة والسوس الأقصى ووادي النفيس وآجلي[٤٨].

٤- أوضاع المغرب بعد معركة تهودة، وتراجع زهير بن قيس البلوي إلى القيروان (٦٤-٦٩هـ/٦٨٣-٦٨٨م):

تُعدّ معركة تهودة من المعارك الفاصلة التي هزّت دعائم الحكم العربي الإسلامي في المغرب، سيما وأَنَّها أودت بحياة أحد أهم قادة الفتح العربي الإسلامي في البلاد، فما أنْ وصل خبر استشهاد عقبة بن نافع إلى القيروان حتى عمّت الفوضى والانقسام في صفوف المسلمين، فأدرك قائدهم زهير بن قيس البلوي عدم جدوى المقاومة في ظل تلك الظروف، فانسحب من القيروان، ليدخلها كسيلة بن لمزم وأعوانه في محرّم عام (٦٤هـ/٦٨٣م)، والذي ما أنْ دخل إلى القيروان حتى عمّت البلاد ثورة عارمة قام بها أنصار المسلمين من قبائل البتر المحلية احتجاجاً على خروج العرب المسلمين ودخول كسيلة وقبيلة أوروبة إلى القيروان(٤٩).

وهنا يجب التوقف عند مسألة غاية في الأهمية، هي ردّة فعل قبائل البتر من خروج أفريقية عن سيطرة الجيش العربي الإسلامي ، والتي دلّت بشكل واضح على المكانة التي وصل إليها الإسلام في نفوس هذه القبائل، تلك المكانة التي لم تكن سوى انعكاساً للمعاملة الحسنة التي لاقتها تلك القبائل من قبل قادة الفتح العربي الإسلامي، وعلى رأسهم عقبة بن نافع، الذي كانت تربطه علاقة وطيدة مع قبائل البتر منذ دخوله برقة، التي كان أغلب سكانها ينتمون لهذا الفرع من قبائل المغرب المحلية، لذلك فقد كان لاستشهاد عقبة وقعٌ كبير في نفوس تلك القبائل التي نقمت على كسيلة وأعوانه وما اقدموا عليه في معركة تهودة(٥٠).

في الوقت الذي كانت فيه أفريقية تشتعل بنار الثورة(٥١)، لم تكن أحوال الخلافة في بلاد الشام بأحسن حالاً منها، فقد كانت هي الأخرى تعاني من مشاكل داخلية، استمرت حتى تولية الخلافة لعبد الملك بن مروان(٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) ، الذيقرر استعادة القيروان، وإعادتها إلى حضيرة الدولة العربية الإسلامية، فاختار لهذه المهمة زهير بن قيس البلوي الذي كان مرابطاً في برقة منذ انسحابه من القيروان منتظراً توجيهات الخلافة(٥٢).

أرسل الخليفة عبد الملك إلى زهير جيشاً قوياً، وبعث إليه بالأموال من مصر، فنهض عام (٦٩هـ/٦٨٨م) متجهاً إلى أفريقية، وعندما وصلت أخبار الجيش الإسلامي إلى كسيلة، جمع أصحابه واستشارهم في مغادرة القيروان خوفاً من انقلاب أهلها ضدّه، والذين لا يزالون محافظين على ولائهم للعرب المسلمين، فأشار عليهم اختيار موضع ممس لتكون مكاناً

للمعركة من أجل الابتعاد عن أهل القيروان، وفي نفس الوقت تكون ممس موقعاً يمكن لقبائل أوروبه من ملاحقة جيوش العرب المسلمين في حال انتصارها عليهم، أما إذا هزموا فيمكن له ولأعوانه الهرب إلى الجبال والإفلات من قبضة العرب، فوافق أصحاب كسيلة على اقتراحه، فغادرت قبائل أوروبه القيروان متجهة إلى ممس(٥٣).

بعد نزول قوات كسيلة إلى ممس، كانت القوات العربية على مشارف مدينة القيروان، فعسكروا في قرية يقال لها قرشانة، ومنها خرج زهير حتى وصل ممس، فوقعت بين الطرفين معركة عنيفة أسفرت عن انتصار الجيش العربي الإسلامي، ومقتل كسيلة وتمزيق جيشه ، بعد قتل عدد كبير من رؤساء وقادة قبائل أوروبه وحلفائهم الروم(٥٤)، فكانت موقعة ممس من المعارك المهمة والحاسمة في تاريخ المغرب ، لأنّها أعادت هيبة العرب المسلمين ومكانتهم في البلاد، كما أنَّها وضعت حدّاً نهائياً للمقاومة التي قامت بها قبائل أوروبه البرانسية وحلفائهم من الروم البيزنطيين في بلاد المغرب(٥٥).

عاد زهير بن قيس بعد هذا الانتصار إلى القيروان، ونظّم أمورها الإدارية وأقرّ السلطة في ربوعها،، لكنه غادرها في عجل عندما وصلت إليه أخبار هجوم الروم على برقة، فباغت زهير القوات البيزنطية وهي تستعد للإبحار عبر البحر وبين أيديهم أسرى من العرب المسلمين، ولم يكن الوقت يسمح لزهير بجمع جميع القوات العسكرية، فدخل زهير وأصحابه في معركة غير متكافئة عند درنة أسفرت عن خسارة العرب المسلمين، واستشهاد زهير بن قيس البلوي عام (٦٩هـ/٦٨٨م)(٥٦).

٥- ولاية حسان بن النعمان الغسّاني وسياسته في التعامل مع قبائل البتر المحلية، وأثرها في تثبيت أقدام المسلمين في بلاد المغرب (٧٤-٨٥هـ/٦٩٣-٧٠٤م):

بعد استشهاد زهير بن قيس البلوي في موقعة درنة، استشار الخليفة عبد الملك بن مروان أصحابه في مَن يمكن أنْ يخلفه على ولاية أفريقية، فوقع الاختيار على حسان بن النعمان الغساني، الذي ما أنْ دخل أفريقية عام (٧٤هـ/٦٩٣م)، حتى وضع نصب عينيه هدفين أساسيين هما : القضاء على قوة الروم، وضرب معاقلهم المهمة، ومن ثم تطويع قبائل البتر المحلية الذين تجمعوا تحت قيادة الكاهنة(٥٧) ملكة جبال الأوراس(٥٨).

إنَّ المتتبع لسياسة هذا القائد في بلاد المغرب وتعامله مع أهل البلاد يجد أَنَّه كان قائداً فذّاً جمع بين الحنكة السياسية وحُسن التدبير، والاستراتيجية العسكرية، تلك الميزة التي مكنته

من كسب سكان المغرب وضمّهم إلى الإسلام، وفي ذات الوقت القضاء على آخر معاقل المقاومة الفعلية للسكان المحليين تحت قيادة الكاهنة في جبال الأوراس[٥٩]، فما أنْ دخل حسان إلى أراضي المغرب الأدنى حتى لاقى ترحيباً وقبولاً من لدن قبائل لواتة البترية، التي أقبلت على الانضمام إلى القوات العربية الإسلامية تحت قيادة هلال بن ثروان اللواتي ، الذي جعله حسان على مقدمة الجيش ، فكان هلال أول قائد بربري يُعَيّن على قيادة قوة عسكرية عربية إسلامية[٦٠].

كان إقدام حسان على جعل هلال بن ثروان في مقدمة جيشه خطوة مهمة رسمت منهجية هذا القائد في التعامل مع القبائل المحلية في البلاد، فقد حرص على إشراك قبائل المغرب في عمليات الفتوح الإسلامية، فكانت حركةً موفّقةً استطاع بها ضمان ولاء هذه القبائل واعتناقهم للإسلام، فسكان المغرب بطبيعتهم كانوا ميّالين للفروسية[٦١]، فاستغلّ حسان تلك الميزة فيهم فاستقطبهم ليكونوا أنصاراً له، ومن ثم إقبال هؤلاء على اعتناق الإسلام، وهذا هو من الأهداف الرئيسية للفتوحات العربية الإسلامية[٦٢].

إنَّ من الأمور الملاحظة لسياسة هذا القائد، أَنَّه لم ينظر للجيش العربي الإسلامي أو المؤسسة العسكرية، على أنَّها مجرد أداة قتالية ينحصر دورها في القضاء على حركة المقاومة المحلية في بلاد المغرب، بل إنَّه جعل من الجيش وسيلة لجذب قبائل المغرب واعتناقهم الإسلام، مستخدماً نظام الرهائن، الذي تبناه حسان، بعد إقبال قبائل البتر المحلية إلى حسان بن النعمان يعرضون عليه الدخول في الإسلام بعد مقتل الكاهنة عام (٨٢هـ/٧٠١م)، فلم يقبل حسان إسلامهم إلّا بعد أنْ يعطوه اثنا عشر ألفاً من أبنائهم[٦٣]، فأجابوه وأسلموا على يده، وأَّمر عليهم ولدا الكاهنة اللذان كانا قد أسلما بعد مقتل أمّهم، فجعل لكل واحد منهم ستّة آلاف فارس من البربر، وأخرجهم مع العرب يجولون في المغرب، يقاتلون الروم ومن كفر من أبناء جلدتهم[٦٤].

إنَّ الأسلوب الذي اتبعه حسان في معاملة سكان المغرب، قد دلّ بشكل لا يدعو للشكّ، أنَّ هذا القائد كان عارفاً ومتفهماً لطبيعة هذه القبائل، فهي قبائل محاربة قوية تميزت بالأنفة وعدم حبّها للانصياع أو الخضوع لأي سلطة، لذلك نجد هؤلاء القبائل يحرصون على أنْ لا يسمحوا للفاتحين العرب أنْ يعاملوهم معاملة شعب خاضع محكوم، ولما كان حسان قد فهم

طباعهم تلك، وجد أنَّ السبيل الأنسب لقيادتهم هو معاملتهم معاملة حسنة تليق بمكانتهم ، وإضفاء روح المساواة بين هذه القبائل والعناصر العربية الموجودة في البلاد[٦٥].

لذلك عمل حسان على مساواة سكان المغرب بإخوانهم العرب في الحقوق والواجبات، فلم يكتف بإعطائهم المناصب العسكرية فحسب، بل جعل لهم نصيب من الغنائم ورتّب الأعطيات التي كانت تصرف من بيت المال، وظل هذا النظام معمولاً به حتى بعد عزل حسان وتولية موسى بن نصير[٦٦] من بعده[٦٧].

وأخيراً يجدر بنا القول، أنَّ حساناً قائد عسكري وإداري مميز، استطاع أنْ يُثبّتْ أقدام العرب المسلمين في المغرب، بعد أنْ عزز الإسلام باستتباب الأمن في ربوع الأقاليم المغربية امتداداً من برقة حتى جبال الأوراس، فعمل على إنشاء المساجد وتعليم القرآن ونشر اللغة العربية، فأتمّ بذلك رسالة من سبقوه من الفاتحين الكبار[٦٨]، فضلاً عن التنظيمات الإدارية والمالية التي قام بها[٦٩]، وهذا ما سيأتي بيانه بشكل مفصل لاحقاً.

٦- إنشاء مدينة تونس: (٨٤هـ/٧٠٢م):

بعد قضاء حسان بن النعمان على القوتين الكبيرتين في المغرب، المتمثلة بالروم البيزنطيين في قرطاجنة وقبائل البتر المحلية في جبال الأوراس[٧٠]، عمد إلى الالتفات إلى تنظيم أمور البلاد، فقام بالعديد من الأعمال المهمة أبرزها بناء مدينة تونس عام (٨٤هـ/٧٠٢م)[٧١].

بدأ حسان بالتفكير جدّياً في بناء مدينة تونس، بعد إقدامه على تخريب قرطاجنة، لكي لا يفكر البيزنطيين بالعودة إليها، ومنذ ذلك الوقت، وهو يسعى لإنشاء مدينة تحلّ محل قرطاجنة، وتكون منفذاً للمسلمين على البحر، ينطلقون منها للجهاد والإغارة على سواحل الروم[٧٢].

أقام حسان مدينته في موقع يدعى ترشيش[٧٣]، على مسافة اثنا عشر ميلاً، شرق مدينة قرطاجنة، وفي ترشيش أسس حسان داراً لصناعة السفن ، مستعيناً في بنائها بأقباط مصر، وعدد كبير من قبائل المغرب المحلية، التي كانت مشاركتهم في بناء المدينة، دليلاً على نجاح سياسة حسان في التعامل مع هؤلاء، ونتائجها الحسنة التي انعكست على تقوية العلاقة بين البربر وإخوانهم العرب، لا سيما بعد سياسة المساوات التي اتبعها حسان، كما أسلفنا[٧٤].

ولما كان موقع تونس غير منفتح على البحر مثل قرطاجنة، التي تقع على لسان يُكوّن شبه جزيرة محصورة بين السبخة شمالاً والبترة جنوباً، بينما تقع تونس إلى الداخل غرب البحيرة التي تتصل بالبحر من جهة الشرق، حيث يقع مرسى راداس، ولما كانت البحيرة ضحلة لا تسمح بسير المراكب الحربية، لذلك وجب حفر قناة في وسطها، تصل ما بين دار الصناعة في تونس والميناء أو المرسى في راداس(٧٥).

اهتم حسان بهذه المدينة، فأنشأ بها مسجداً جامعاً، وداراً للإمارة، ومعسكرات للقوات البرية والبحرية، فأصبح الهرب المسلمون بفضل هذه القاعدة يشكلون قوة بحرية لا يستهان بها، بعد أنْ اتخذوها قاعدة ينطلقون منها لمهاجمة السواحل البيزنطية، والدفاع عن سواحلهم وثغورهم من أي عدوان بيزنطي(٧٦).

بذلك استطاع حسان تأسيس مدينة في المغرب، فإذا كانت القيروان مركزاً للقوات العربية ومحرساً للبلاد من الداخل، فقد كانت تونس ربطاً يحمي القيروان، ومحرساً للبحر، وقد أدت هذه المدينة مهمتها الدفاعية والهجومية كاملة، فمنها انطلق العرب المسلمون نحو صقلية وجنوب إيطاليا، منذ بداية القرن الثاني الهجري، حتى إخضاعها للسيادة العربية الإسلامية في عصر الأغالبة(١٨٤-٢٩٧هـ/٨٠٠-٩٠٩م) والفاطميين(٢٩٧-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م)(٧٧).

٧- ولاية موسى بن نصير وجهوده في إخضاع القبائل المحلية الثائرة، واستكماله لعمليات الفتوح العربية الإسلامية في البلاد (٨٥-٩٣هـ/٧٠٤-٧١١م):

ظل حسان يمارس عمله في المغرب، إلى أنْ أُعفي من منصبه عام (٨٥هـ/٧٠٤م)، ليخلفه القائد موسى بن نصير، الذي ما إنْ وصل إلى القيروان، حتى وجد أنَّ قبائل المغرب قد خرجت عن الطاعة مستغلين خروج حسان من القيروان، لذلك جمع الناس وخطب فيهم خطبة بليغة، حدد فيها المبادئ الاساسية لسياسته ، التي هدف من خلالها إلى إخضاع القبائل الثائرة، والبدء بالعدو القريب، ثم التوجه إلى العدو البعيد، بهدف تأمين الخطوط الخلفية للجيش العربي الإسلامي ثم التقدم نحو الأمام(٧٨).

شرع موسى بتنفيذ سياسته القاضية بإخضاع القبائل المحلية، فوجّه قوة عسكرية إلى قلعة زغوان(٧٩)، الواقعة على مسافة يوم واحد من القيروان(٨٠)، فكانت القبائل هناك قد خرجت

عن الطاعة، فعمل على إخضاعها بالقوة، فقاتلهم وسبى منهم أعداداً كثيرة، ذكر ابن عذاري[٨١]: أنَّها بلغت عشرة آلاف رأس، فكان أول سبي يدخل القيروان.

كذلك وجّه موسى قوات عسكرية بحوالي الألف فارس إلى قبائل كتامة، وهوارة وزناتة، من سكان المغرب الأوسط، الذين كان يرأسهم رجل يدعى طامون، فقاتلهم موسى وقبض على قائدهم، وأرسله إلى والي مصر عبد العزيز بن مروان، الذي قتله عند بركة سميت منذ ذلك الحين ببركة طامون[٨٢]، وعندما رأت هذه القبائل ما حلّ بهم أرسلوا إلى موسى يطلبون الصلح، فوافق على ذلك بعد أنْ أخذ منهم الرهائن، إلّا أنَّ رهائن كتامة استأذنوه في الخروج للصيد فأذن لهم، فبلغه أنَّهم إنَّما يريدون الهرب، فوجّه الخيل في طلبهم، ولما أوتي بهم أراد صلبهم، فقالوا له: "لا تعجل أيها الأمير بقتلنا حتى يتبيّن أمرنا، فإنّ آبائنا وقومنا لم يكونوا ليدخلوا في خلافٍ أبداً، ونحن في يديك، وأنت في البيان أقدر منك على استحيائنا بعد القتل"[٨٣]، فأوقرهم حديداً وأخرجهم معه إلى كتامة، فلما بلغهم قدومه خرج وجوههم يستقبلونه، ولما لقيهم تبيّنت له براءتهم وصد عنهم[٨٤]، أما قبيلة صنهاجة، فقد سار موسى إليهم واستطاع اخضاعهم بعد أنْ سبى منهم أعداداً كثيرة[٨٥].

هكذا أخضع موسى قبائل المغرب المحلية التي شقت عصا الطاعة بعد خروج حسان بن النعمان إلى المشرق[٨٦]، وكذلك أخضع القبائل التي لم يكن المسلمين قد وصلوا إلى أراضيهم، فوصل موسى إلى المغرب الأقصى، فكان أول نشاط عسكري قام به هناك، هو إخضاع قبائل أوروبه البرانسية التي تأهبت له ولحربه، فقاتلهم قتالاً شديداً، أراد من خلاله الانتقام لمقتل عقبة بن نافع، فأذن لأولاد عقبة ، عياض وعثمان وعبيدة ، أنْ يقتصّوا من قاتل أبيهم، فقيل أنَّ عياض قتل منهم ستّمائة من خيارهم وكبارهم، ولما بلغ عدد ما قتل منهم بعث إليهم وقال "ضعوا أسيافكم في قتل أبيكم عقبة"[٨٧].

كذلك وصلت قوات موسى إلى أراضي قبائل مصمودة، فأرسل إليهم زرعة بن أبي مدركة البربري الأصل، فلم يلق مقاومة تذكر، فما أنْ وصل حتى استأمن وجعل عليه والياً يدير أمورهم بعد أنْ أخذ منهم عدداً من الرهائن، فكانت تلك المرة الثانية التي تصل فيها قوات المسلمين إلى أراضي قبائل مصمودة التي كان عقبة أول مَن وطئت أقدامه في تلك البلاد[٨٨].

بعد أنْ أتمّ موسى مهمته في إخضاع قبائل المغرب الثائرة، أخذ هذا القائد بالسير على نفس السياسة التي اتبعها سلفه حسان، فعمل على اصطناع أبناء القبائل المحلية وإشراكهم في جيوشه على نطاق واسع[٨٩]، فقام بجمع رهائن البربر الذين أخذهم من قبائلهم ، كشرط من شروط الصلح، وأمّر عليهم مولاه طارق بن زياد[٩٠]، البربري الأصل ، وجعله والياً على إقليم طنجة، وتحت إمرته اثنا عشر ألف مقاتل ، جلّهم من العرب وقبائل المغرب المحلية، وترك بينهم سبعة وعشرون رجلاً يعلّمون أبناء القبائل أصول الدين واللغة العربية، فما أنْ حلّ عام (٨٥هـ/٧٠٤م)، حتى أسلم جميع أهالي المغرب الأقصى، وحوّلت الكنائس إلى مساجد، وجعلوا المنابر في مساجد الجماعات ، وفيها مسجد أغمات هيلانة[٩١].

كانت السياسة التي اتبعها موسى في معاملة سكان المغرب سياسة ناجحة دلّت على حسن تدبير ودهاء هذا القائد الذي وصفه أغلب الباحثين[٩٢] أَنَّه لم يكن أقل كفاءة من حسان بن النعمان، وقد بدا ذلك واضحاً من خلال الأثر الحَسن الذي تركته تلك السياسة في نفوس القبائل المحلية، التي أخذت نفوسهم تطمئنّ للعرب المسلمين، فأظهروا ميلهم الشديد لاعتناق الدين الإسلامي، لا سيما بعد سياسة المساواة التي اتبعها كلاً من حسان بن النعمان ، وموسى بن نصير.

بذلك استطاع موسى أنْ ينشر الدين الإسلامي في ربوع المغرب، فأشاع الانسجام الفكري بين قبائل المغرب المحليين والعرب المسلمين بغرس تعاليم الإسلام في نفوس تلك القبائل، فوحّد بذلك صفوفهم وجمع كلمتهم، فأصبح العرب والبربر قوة موحدة هائلة وجدت لها متنفساً في فتح الأندلس، فربط موسى بن نصير بهذا الفتح مصير العرب الفاتحين مع إخوانهم البربر المسلمين، وجعلهم يدافعون عن عقيدة واحدة بقيادة واحدة وهدف واحد، هو إعلاءُ كلمة الله تعالى ونشر دينه في الأرض[٩٣].

الهوامش

(١) مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، (ط٢، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٧م)، ص٣٨.

(٢) أبو عبية، طه عبد المقصود عبد الحميد، موجز الفتوحات الإسلامية، (د. ط، دار النشر للجامعات، القاهرة، د. ت)، ص٦٢.

(٣) ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القاضي البلنسي، (ت: ٦٥٨م)؛ الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، (ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م)، ج٢، ص٣٢٣.

(٤) مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٩.

(٥) سالم، عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، (د- ط، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٩م)، ص٨٩؛ زغلول، سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، (د- ط، المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٣م)، ص١٨٣؛ أحمد، محمود حسن، تاريخ المغرب والأندلس، (ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩م)، ص٥٨.

(٦) الثعالبي، عبد العزيز، تاريخ شمال أفريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تحقيق: أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، (ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م)، ص٤٨.

(٧) المجالي، سحر عبد المجيد، القيروان ودورها العسكري والعلمي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (٢)، ٢٠١٣م، ص٢٥٣.

(٨) ابن عذاري، أبي العباس أحمد بن محمد (ت: ٧٢١هـ)، البيان المغرب في اختصار أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، (ط١، دار المغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٣م)، ج١، ص٤٣.

(٩) زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج١، ص١٨٣.

(١٠) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٢٧؛ سالم، تاريخ المغرب والعصر الإسلامي، ص٩٥.

(١١) الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، (ت: ٦٩٦هـ)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي الشنوجي، (د. ط، د. ت)، ص٩.

(١٢)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد السلام التدمري، (ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م)، ج٣، ص٦٢؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٢٨؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل عمر بن كثير القرشي البحري (ت: ٧٧٢هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (ط١، دار إحياء التراث العربي، د- م، ١٩٨٨م)، ج٨، ص٤٩.

(١٣) الكوفة: وهي مدينة عتيقة البناء، ليس لها سور، وقيل إنَّها سميت الكوفة لأنّ سَعد بن أبي وقاص عندما افتتح القادسية، نزل المسلمون الأنبار، فآذاهم البق، فارتاد لهم موقع الكوفة، فقال تكوفوا الموضع؛ للمزيد ينظر: البكري، معجم ما استعجم، مج٤، ص١١٤١؛ المحمدي ، حماد فرحان ، سعد بن أبي وقاص ، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية التربية(ابن رشد) ، جامعة بغداد ، ١٩٩٥ ، ص ١٢٠-١٢٦ .

(١٤) البصرة: وهي إحدى الأمصار الإسلامية التي مصرها عمر بن الخطاب لتكون مقراً للجند؛ للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، (ت: ٦٢٢هـ)، معجم البلدان (د-ط، دار صادر، بيروت، د- ت)، ج١، ص٤٣١.

(١٥) الفسطاط: وهي المدينة التي بناها القائد عمرو بن العاص عندما دخل أرض مصر؛ للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٦٣؛ المحمدي، حماد فرحان، الاحوال الحضرية لمدينة الفسطاط من التأسيس حتى نهاية العصر الأموي ، اطروحة دكتوراه ، مقدمة إلى مجلس كلية التربية(ابن رشد) ، جامعة بغداد ، ١٩٩٩ ، ص ٥١-٥٦ .

(١٦) مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٩؛ حسين، محمد، الجغرافية التاريخية الأفريقية، (ط١، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ٢٠٠٢م)، ص٧١-٧٢.

(١٧) طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، (ط١، دار المدار الاسلامي ، بيروت ،٢٠٠٤)، ص١٠٨.

(١٨) عبد الواحد ذنون وآخرون، تاريخ المغرب العربي، (ط٣، دار المدار الاسلامي، ليبيا، ٢٠٠٤م)، ص ٨٩.

(١٩) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٦٢-٦٣.

(٢٠) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج١، ص٤٥.

(٢١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: سهيل زكار وخليل شحادة، (د- ط، دار الفكر، بيروت، د- ت)، ج٦، ص٣٦٢.

(٢٢) الكامل، ج٣، ص٦٣.

(٢٣)الجنحاني، الحبيب، القيروان، التأسيس والازدهار، (د- ط، د- م، تونس، ٢٠٠٩م)، ص٢٢.

(٢٤) لقبال، موسى، المغرب الإسلامي، (ط٢، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٨١م)، ص٣٥.

(٢٥) لقبال، المغرب الإسلامي، ص٣٣؛ العميد، طاهر مظفر، آثار المغرب والأندلس، (د. ط، بيت الحكمة، جامعة بغداد، د. ت)، ص٦٠.

(٢٦) أبو المهاجر دينار: وهو مولى مسلم بن مخلد الأنصاري، تقلد ولاية أفريقية عام (٥٥هـ)؛ للمزيد ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، (ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣م)، ج٢، ص٦٨٢.

(٢٧)عبد الواحد ذنون وآخرون، تاريخ المغرب العربي، ص٨٥.

(٢٨) مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٢؛ أحمد، تاريخ المغرب العربي، ص٦٢.

(٢٩) الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، (ط٢، مكتبة الحياة، الجزائر، ١٩٦٥م)، ج١، ص١٦٩.

(٣٠)، المغرب العربي، ص٣٤-٣٥.

(٣١) مؤنس، حسين، فتح العرب للمغرب، (د- ط، مكتبة الثقافة الدينية، د- م، د- ت) ، ص٢٨٤.

(٣٢) الثعالبي، تاريخ شمال أفريقيا، ص٤٥.

(٣٣) رمضان، عبد المحسن طه، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، (ط١، دار الفكر، عمان، ٢٠١٠م)، ص٣٠؛ خطاب، محمود شيت، قادة فتح المغرب العربي، (ط٧، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤م)، ج١، ص١٤٠.

(٣٤) لقبال، المغرب الإسلامي، ص٣٥-٣٦؛ مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٢.

(٣٥) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٦٣؛ سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص١٢٠.

(٣٦) الثعالبي، تاريخ شمال أفريقية ص٤٦؛ خطاب، قادة فتح المغرب، ج١، ص١٤١.

(٣٧) المالكي، أبي بكر عبد الله محمد المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، رياض النفوس في طبقات علماء أفريقية، تحقيق: بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي، (ط١، دار الغرب الإسلامي، د. م، ١٩٨٣م)، ج١، ص٢٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٠٦-٢٠٧؛ السلاوي: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري (ت: ١٣١٥هـ)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، (د. ط، دار الكتاب، د. م، د. ت)، ج١، ص٧٤.

(٣٨) طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي، ص١١٦.

(٣٩) قادة فتح المغرب، ج١، ص١٢٧.

(٤٠) سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص١٣٤؛ خطاب، قادة فتح المغرب، ج١، ص١٢٨؛ عبد الواحد ذنون وآخرون، تاريخ المغرب العربي، ص٩٤.

(٤١) خطاب، قادة فتح المغرب، ج١، ص١٢٨.

(٤٢) تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص١٣٥.

(٤٣) باغاية: وهي مدينة عظيمة جليلة، تقع تحت جبل الأوراس، فيها أنهار عامرة وعيون ومزارع؛ للمزيد ينظر: المراكشي، الاستبصار في عجائب الأمصار، (د- ط، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م)، ص١٦٣.

(٤٤) منصور عبد الوهاب، قبائل المغرب، (د. ط، المكتبة الملكية، الرباط، ١٩٦٨م)، ص١١٢؛ طه، الفتح والاستقرار العربي، ص١١٦؛ أحمد، تاريخ المغرب العربي، ص٦٩.

(٤٥)رمضان، عبد المحسن طه، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، (ط١، دار الفكر، عمان، ٢٠١٠م)، ص٣٠-٣١.

(٤٦) خطاب، قادة فتح المغرب، ج١، ص١٢٩.

(٤٧) ابن عذاري، البيان المغرب ج١، ص٤٢.

(٤٨) حمودة، عبد الحميد حسين، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، (ط١، الدار الثقافية، القاهرة، ٢٠٠٧م)، ص١٧٥.

(٤٩) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج١، ص٥٧؛ الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج١، ص١٧٣-١٧٤.

(٥٠) خطاب، قادة فتح المغرب، ج١، ص١٤٢.

(٥١) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت: ٧٣٣هـ)، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، (د. ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، ج٢٤، ص٢٥.

(٥٢)المحمدي، حماد فرحان حمادي، الأحداث السياسية في المشرق وأثرها في أوضاع المغرب العربي في عهد السفيانيين (٤٠-٦٥هـ)، بحث منشور، مجلة الأستاذ، العدد (٤٤)، لسنة٢٠٠٢م، ص٣٦٥-٣٦٦.

(٥٣) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢٠٨؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج١، ص٥٧.

(٥٤) الرقيق، اسحاق إبراهيم بن القاسم (ت: ٤٢٠هـ)، تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق: عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى، (ط١، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م)، ص١٦-١٧؛ أحمد، تاريخ المغرب العربي، ص٧١.

(٥٥) زيتون ، محمد محمد ، المسلمون في المغرب والاندلس ،(د-ط ، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية ، د-م ، ١٩٩١م)، ص٨٥.

(٥٦)عبد الواحد ذنون وآخرون، تاريخ المغرب العربي، ص٩٠.

(٥٧) الكاهنة: وهي دهيا بنت ماتية ، وقد وصفها المؤرخون بأنها ملكة جبال أوراس ، وكانت تعتنق اليهودية ، تتمتع بسطوة وسلطان واسعين ، حتى قيل لحسان بن النعمان "إن قتلتها دان لك المغرب كلّه"؛ للمزيد ينظر: المالكي ، ،رياض النفوس، ص٣٢؛ ابن عذاري ،المغرب ،ج١ ص٣٥؛ الدباغ ، أبو زيد عبد الحمن بن محمد الأنصاري (ت٦٩٦هـ) ،تاريخ أفريقية والمغرب ، تحقيق: المنجي الكعبي، (تونس، ١٩٦٨) ج١ ص٦١ ؛ وابن عبد الحكم، " يسميها ملكة البربر"، ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، (ت: ٢٥٧هـ)، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، (د- ط، دار الذخائر، القاهرة، ٢٠٠١م)، ص٢٧٠؛ ابن خلدون، العبر، ج١، ص٤٧٦.

(٥٨) الخفاجي، عباس كريم عند، حسان بن النعمان الغساني والكاهنة الزناتية، مجلة العلوم الأساسية، (د. ت)، ص١٩٦.

(٥٩) قطب، محمد علي، أبطال الفتح الإسلامي، (ط١، دار الدعوة، الاسكندرية، ٢٠٠٦م،)، ص٢٥.

(٦٠) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٩؛ خطاب، قادة فتح المغرب، ج١، ص١٧٨.

(٦١) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص٢٧٣.

(٦٢) الثعالبي، تاريخ شمال أفريقيا، ص٧٧.

(٦٣) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤١٦-٤١٧؛ خديجة، شنعة، اعتناق البربر للإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، ٢٠١٢م، ص٧٥.

(٦٤) رحماني، موسى، الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٧م، ص٢٠.

(٦٥) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص٢٨٣.

(٦٦) موسى بن نصير: هو أبو عبد الرحمن اللخمي، كان مولى امرأة من لخم، وقيل مولى لبني أمية؛ للمزيد ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦، ص٤٨٥.

(٦٧) زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج١، ص٢١٤.

(٦٨) لقبال، المغرب الإسلامي، ص٧٥.

(٦٩) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص٢٨٣.

(٧٠) زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، ص٤٨ .

(٧١)عبد الواحد ذنون وآخرون، تاريخ المغرب العربي، ص١٧٤.

(٧٢) أحمد، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م)، ص٩.

(٧٣) ترشيش: وهي على بعد ميلين من قرطاجنة، ويحيط بها سورها، بينها وبين صفاقس ثلاثة أيام؛ للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، ج٢، ص٦٠.

(٧٤) مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٥٦-٥٧.

(٧٥) أحمد، تاريخ المغرب والأندلس، ص١٠.

(٧٦) سوادي عبد محمد وصالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، (ط١، المكتب المصري، القاهرة، ٢٠٠٤م)، ص٤٧.

(٧٧) زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج١، ص٢١٥.

(٧٨) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢١-٢٢؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج٦، ص٢٢٠؛ سالم، تاريخ المغرب الإسلامي، ص١٦٧.

(٧٩) زغوان: وهو جبل بأفريقية، يقع بالقرب من تونس، كان يستدل به السائرين، وكان يرى السحاب دون دونه لعلوّه، وأهل أفريقية يقولون لمن يستثقلونه أثقل من جبل زغوان؛ للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٣٣.

(٨٠) خطاب، قادة فتح الأندلس، (ط١، مؤسسة علوم القرآن، د. م، ٢٠٠٣م)، ج٢، ص٧٠.

(٨١) البيان المغرب، ج١، ص٤٠-٤١.

(٨٢) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج١، ص٤١.

(٨٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، تحقيق: محمد محمود الرافعي، (ط١، مطبعة النيل، مصر، ١٩٠٤م)، ج٢، ص٦٦.

(٨٤) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج١، ص٤١؛ خطاب، قادة فتح المغرب، ج١، ص٢٣٢؛ الثعالبي، تاريخ شمال أفريقية، ج١، ص٨٩-٩٠.

(٨٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٦٦.

(٨٦) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٢١؛ خطاب، قادة فتح المغرب، ج١، ص٢٣٤.

(٨٧) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٢٢٩.

(٨٨) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج١، ص٤١؛ خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج١، ص٢٣٥؛ زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج١، ص٢٤٣.

(٨٩) العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٥؛ خطاب، قادة فتح المغرب، ج١، ص٢٨٧.

(٩٠) طارق بن زياد: وهو طارق بن زياد بن لغو بن ورفجوم بن نبرغاسن بن ولهاحس بن يطوفت بن نفزاو، قائد عسكري مسلم، قاد الفتح العربي الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية خلال المدّة الممتدة بين عاميّ 711 و٧١٨م بأمر من موسى بن نصير والي أفريقية في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك. يُنسب إلى طارق بن زياد إنهاء حكم القوط الغربيين لهسبانيا. وإليه أيضًا يُنسب "جبل طارق" وهو الموضع الذي وطأه جيشه في بداية فتحه للأندلس ، يُعدُّ طارق بن زياد أحد أشهر القادة العسكريين في التاريخين الأيبيري والإسلامي على حدٍ سواء، وتُعدّ سيرته العسكريَّة من أنجح السير التاريخيَّة ؛ للمزيد ينظر: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج١، ص٤٣.

(٩١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٢١٤؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج١، ص٤٢؛ اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان، (ت: ٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م)، ج١، ص١٥٩؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العسكري الحنبلي أبو الفلاح، (ت: ١٠٨٩م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمد الأرناؤوط، (ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦م)، ج١، ص٣٩١.

(٩٢) أحمد، تاريخ المغرب والأندلس، ص١١٣؛ خطاب، قادة فتح المغرب، ج١، ص٢٨٧؛ العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٥؛ باديس، أوكيل مصطفى، انتشار الإسلام وآثاره على المجتمع خلال القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٦م، ص٧٧.

(٩٣) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١١٠؛ خطاب، قادة فتح المغرب، ج١، ص٢٨٩.